تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في الاخرة
بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المومن اذا خرج
من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله
في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فان قلت فلقد دلت هذه الاية على ان الايمان الذي
يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيمة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم
يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل
كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح
لا شبهة فيه دعواهم دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك
نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما
عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلاتهم عند البيت
الا مكاء وتصدية وآخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان
بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان هي المخففة من الثقيلة
واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد
ولو يعجل الله للناس الشر تعجيلهم الخير وضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم
واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل له والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم
الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على
البناء للفاعل وهو الله عز وجل وينصرها قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم فان قلت فكيف اتصل به قوله فنذر
الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي
اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم لجنبه في موضع
الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال
قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان
منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى
ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب
الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع
البلاء لان الانسان للجنس مر اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع
لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان قال كان ثدياه حقان كذلك
مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بالخذلان والتخلية ما كانوا يعملون من الاعراض
عن الذكر واتباع الشهوات لما ظلموا ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد
على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليومنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي
يعني وما كانوا يومنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم مصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم
والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك
مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله وقرئ يجزي بالياء
ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكنا لننظر

كيف

يونس ١٩

١٧٨

كيف تعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع
ان يتقدم عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي
هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه غاظهم ما في القران من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين
فقالوا ائت بقران آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان اية عذاب اية رحمة وتسقط ذكر الالهة
وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان اية عذاب اية رحمة مما انزل
وان يسقط ذكر الالهة واما الاتيان بقران اخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل كقوله ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان يامرني بذلك ربي ان اتبع الا ما
يوحى الي لا اتي ولا اذر شيئا من ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت اية تبعت النسخ وان بدلت اية مكان
اية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم
فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القران حتى قالوا ائت بقران غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون
بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمونه قادرا عليه
وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا
ائت بقران غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقران من جهته واراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان
ابدله قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وامكرهم
في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قران بقران ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه
اخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه
او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله قل لو شاء الله ما تلوته عليكم
يعني ان تلاوته ليست الا بمشية الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع
ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشا في بلد فيه علماء فيقرا عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور
ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد
بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به
احد من اقرب الناس منه والصقهم به ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرا الحسن ولا ادراكم به على لغة من يقول
اعطاته وارضاته بمعنى اعطيته وارضيته ويعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادراتكم
به بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبات بالحج ورثات الميت وذلك لان الالف
والهمزة من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته
وادراته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولادراكم به
بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده
فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وعمرا بالسكون يعني فقد اقمت
فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني
باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت
بقران غير هذا من اضافة الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في قولهم
انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان
التي هي جماد لا يقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)